مفهوم الأسلوبية وعلاقتها بالأنظمة المعرفية

د. محمد ملياني
جامعة وهران

كل دراسة لها غاية، وينبغي أن يكون الأمر كذلك، وهذه الغاية هي فهم النّص وتجليته وكشفه؛ لأنّ المعنى يشكل قطب الرّحى الذّي تدور حوله كل الدّراسات، وللدّراسة اللّغوية غاية واحدة، وإن تعددت أساليبها، فكل منها يرمي إلى استكشاف وتجلية جانب في النّص وتسليط الأضواء على زاوية فيه، وما هذا التعدد في الأساليب إلاّ لتقديم صورة واضحة كاشفة للنّص اللّغوي الحي[1] الذّي يعدّ وحدة متلاحمة من صورته المنطوقة المشكلة من المفردات المصوغة في جمل ووظائفها القائمة على النّظام النّحوي.

ولن يتأتى هذا إلاّ بعد إعادة جمع من جديد تلك الجوانب المدروسة والمفصلة، وإقامة صورة واضحة من خلال تفاعلها وتضافرها؛ لأن فروع علم اللّغة مثل منظمة أو جهاز يعمل بمختلف فروعه في تعاون على أداء وظيفة ما، هي هنا بيان المعاني اللّغوية على مستويات مختلفة.[2]

أ- **مفهوم الأسلوبية وعلاقتها بالبلاغة**:

أخذ الحديث عن علم الأسلوب حيزا واسعا في الدّراسات الأدبية واللّغوية بشكل عام؛ لأنّه أكثر المناهج المعاصرة قدرة على تحليل النّصوص بطريقة علمية. ويعد من أهم ما تمخضت عنه علوم اللغة الحديثة؛ فهو يشكل أحد مجالات نقد الأدب انطلاقا من البنية اللّغوية التي تنهض على دراسة النّص ووصف طريقة الصّياغة والتّعبير فيه، دون الإعتماد كلية على مؤثرات أخرى اجتماعية وسياسية وفكرية أو غيرها...[3]

فإذا كانت البلاغة تستند في حكمها على النص إلى معايير ومقاييس معينة وتهدف من خلالها إلى تقويم الشكل الأدبي، والحكم بمدى مطابقته لما وضع من قوانين وقواعد، وبقدر مراعاة المبدع للقواعد البلاغية فيه؛ فإنّ الأسلوبية تتعامل مع النّص بعد أن يولد؛ لأنّ وجودها تالٍ لوجود الأثر الأدبي، وهي لا تستند إلى قوانين مسبقة أو افتراضات جاهزة، كما أنه ليس من اهتماماتها الحكم على قيمة العمل بالجودة أو الرداءة.

ويتضح لنا أن نظرة الأسلوبية إلى النص تختلف عن سابقتها البلاغية، فالأسلوبية تنظر إلى النص على أنّه كيان لغوي واحد بدواله ومدلولاته لا انفصام بينهما، ولا يمكن بحث أحدهما دون الآخر؛ لأن كليهما يقتضي الآخر؛ أما البلاغة فنظرتها قائمة على التفرقة بين ثنائية الشكل والمضمون، وهذا يعود إلى التمييز القديم بين اللفظ الذي يمثل صورة العمل الأدبي، والمعنى وهو المفهوم والمراد من ذلك العمل، وهذه التفرقة مرتبطة بتأثر البلاغيين بالمنطق، ويتبدى ذلك جليا في محاولتهم ربط المصطلحات المنطقية بمثيلاتها اللغوية.[4]

وتلتقي الأسلوبية والبلاغة العربية في كثير من الخصائص، لما لهما من علاقة وثيقة تتمثل أساسا في أن محور البحث في كليهما هو النص الأدبي، أضف إلى ذلك أن كليهما يفترض حضور المتلقي في العملية الإبلاغية، إلاّ أنّ الأسلوبية جعلت هذا الحضور شرطا أساسا لاكتمال العملية التواصلية؛ لأنه هو الذي يجعل النص يحيا مع تجدد المتلقي وتذوقه، في حين أنّه في البلاغة لا يشكل إلاّ جانبا من الجوانب المتعددة لمفهوم مقتضى الحال، الذي مفاده أن طرائق الكلام وكيفياته متفاوتة. فنجد مقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، وكذا خطاب الذّكي يباين خطاب الغبي[5].

إذا كان المتلقي في البلاغة العربية لا يمثل إلا زاوية واحدة من زوايا العملية الإبلاغية، فإن إهماله يؤدي إلى إفساد المعنى، وبالتالي فشل المتكلم في التوصيل، قال أبو هلال العسكري (ت395هـ) :" ينبغي أن تعرف أقدار المعاني فتوازن بينهما وبين أوزان المستمعين، وبين أقدار الحالات، فتجعل لكل طبقة كلاما، ولكل حال مقاما، حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات... وأقدار المستمعين على أقدار الحالات."[6]

ولقد تعرض عبد السلام المسدّي إلى الفرق بين الأسلوبية والبلاغة، وأشار إلى أنّ الدارسين والباحثين يقرون أن الأسلوبية وليدة البلاغة وبديلها، وهو ما لم يستسغه وعزا الاختلاف بينهما إلى تقاطعهما في المنهج والتصور، يقول:" إن البلاغة علم معياري يرسل الأحكام التقييمية ويرمي إلى " تعليم" مادته وموضوعه: بلاغة البيان، بينما تنفي الأسلوبية عن نفسها كل معيارية وتعزف عن إرسال الأحكام التقييمية بالمدح أو التهجين، ولا تسعى إلى غاية تعليمية البتّة فالبلاغة تحكم بمقتضى أنماط مسبقة وتصنيفات جاهزة، بينما تتحدد الأسلوبية بقيود منهج العلوم الوصفية، والبلاغة ترمي إلى خلق الإبداع بوصاياها التقييمية بينما تسعى الأسلوبية إلى تعليل الظاهرة الإبداعية بعد أن يتقرّر وجودها".[7]

وإذا كانت الأسلوبية والبلاغة العربية تلتقيان في المادة المدروسة، فإنهما يختلفان في المنهج، ونعني بهذا استقلال الأسلوبية بأسسها المعرفية وموضوعاتها المنهجية عن البلاغة العربية[8]؛ لأنها علم قائم بذاته، ويقف بديلا عن البلاغة[9]، بمعنى أنها تولدت عن البلاغة بحكم التطور، والأسلوبية " ما لم تبتكر تصوراتها النظرية ومقولاتها التصنيفية حتى تتميز كيفا وحجما عن تقسيمات البلاغة وصورها فإنها تنتقض من حيث ترمي أن تكون بديلا في عصر البدائل ذلك أنها تفقد بالضرورة كل علة لوجودها".[10]

لقد ألح المسدي وأكد على التفريق بين الأسلوبية والبلاغة العربية القديمة، وأرجع كل الفضل إلى الأسلوبية دون مراعاة الفارق الزمني بينهما، وإذا كانت الأسلوبية عند الغرب قد أحدثت قطيعة مع البلاغة القديمة، فإن الأسلوبية في الحقيقة عند العرب لم تكن أمرا جديدا، بل هي امتداد واستمرار للبلاغة العربية القديمة في حلة جديدة، فهي نشاط مارسه العرب القدامى متخذين الخطاب ميدانا لها.

ودليل ذلك تلك الدراسات التي عكف أصحابها على تحليل النص القرآني، وكذلك تلك الدّراسات البلاغية والنّقدية التي وُجهت العناية فيها كاملة إلى التنظير والتطبيق معا، وينضاف إلى ذلك اهتمامهم الكبير بالمبدع والعمل الإبداعي والمتلقي، [11]غير أن هذه التجربة لم تتمكن من تأسيس درس أسلوبي مستقل، كما هو الشأن في العصر الحديث أين استفادت من منجزات العلوم اللسانية الحديثة التي مكنتها من تأسيس كيانها وتحديد مناهجها.

وإذا كان عبد السلام المسدي قد اجتهد كثيرا للتفرقة بين البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة، فإنّ منذر عياشي انطلق متحمسا للدفاع عنها وراح يسمو بها مستشهدا بأهم مصدر- وهو القرآن الكريم- قامت من حوله كل الدّراسات بقوله:" ولقد كان هذا التوجه من قبلهم(أسلافنا) إيذانا مبكرا لإرساء بعض القواعد المنهجية لعدد من الدراسات التي اتصلت العلوم اللسانية بها حديثا فقط. ونقصد بهذه العلوم: الدراسات المتزامنة للغة، والدراسات الأسلوبية والمقارنة والدراسات النّصية أو ما يسمّى"لسانيات النص"، وعلم الدلالة، والتداولية (La pragmatique)، وعلم الإشارة (La sémiologie)"[12]

فالأسلوبية تهتم بدراسة الخصائص التعبيرية في اللّغة، بمعنى أنّها تتناول الوسائل التي يملكها النظام اللغوي نفسه لأداء معانٍ تتجاوز الأغراض الأولية للكلام، [13] وأشار هنريش بليث إلى أن خصائص الأسلوب هي التي تؤثر في المتلقي. وكانت البلاغة القديمة تنظر إلى الأسلوب كأثر غايته التعليم أو الإثارة، [14] ومفاد ذلك أنّ الأسلوب يرمي إلى التأثير في حين أن البلاغة تنشد الإقناع بالاعتماد على الاحتجاج.

وإذا كان علم اللغة الحديث يدرس ما يقال، فإنّ الأسلوبية تصف وتحلل كيفيات ما يقال؛ [15] لأنها إحدى ما تفرع عن اللّسانيات من علوم اللغة الحديثة.[16]

والحقيقة إن الدّراسات اللّغوية الحديثة وسعت مجال البحوث الأسلوبية لتشمل جوانب متباعدة في قضايا التّعبير اللّغوي، فكانت جهود سوسير في نظريته القائمة على ثنائية اللسان والكلام والعلاقة بينهما، وتحليل الرموز اللغوية، ودراسة التركيب العام للنظام اللغوي، وما ينطوي عليه من صور صوتية ودلالات،[17]تشكل مرتكزا هاما دارت حوله جل الدراسات اللغوية والأدبية.

وقد أفاد شارل بالي [18] (Charles Bally) (1865م1947م) من أفكار أستاذه فاعتبر اللغة نظاما من العلاقات تبرز الجانب الفكري والانفعالي للمتكلم، غير أنه لم يوجه اهتمامه إلى اللغة الأدبية، ورغب عن التصنيف المألوف للظاهرة الكلامية، وراح يقسم الخطاب إلى صنفين:

- أولهما ما هو حامل لذاته غير مشحون البتة.
- وثانيهما حامل للعواطف والأحاسيس والانفعالات.[19]

حيث يقول: "فاللغة في الواقع تكشف في كل مظاهرها وجها فكريا ووجها عاطفيا ويتفاوت الوجهان كثافة حسب ما للمتكلم من استعداد فطري وحسب وسطه الاجتماعي والحالة التي يكون فيها" [20] وهذا ما دفع الباحثين إلى تجاوز أرائه في مجال الدراسة الأسلوبية على الرغم من أنه يعدّ عند كثيرين من مؤسسي هذا العلم.

فالأسلوبية عند شارل بالي تعنى أساسا برصد الطاقات التعبيرية الكامنة في اللّغة لا في الكلام، وحسب هذا التصور يكون موضوع الأسلوبية هو دراسة وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها العاطفية، أي التعبير عن واقع الإحساس الشعوري من خلال اللغة وواقعها،[21] ولما كان بالي لا يعنى بالمضمون الوجداني في الخطاب، ويركز على الجانب العاطفي للغة وارتباطه بفكرتي القيمة والتوصيل، فإننا نجد ليو سبيتزر (Leo spitzer) [22](1887م-1960م) يعنى بدراسة الطوابع الأسلوبية التي يتسم بها العمل الإبداعي، وقد تعكس شخصية صاحبه.[23]

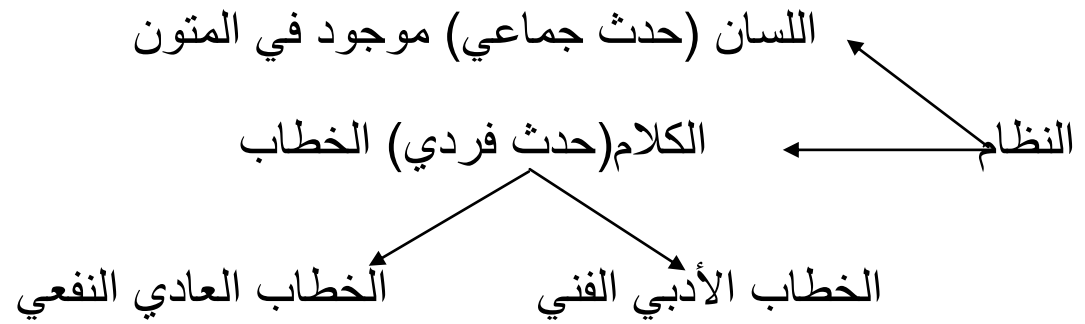

إنّ النظام اللغوي كما حدّده دي سوسير(DE SAUSSURE) (1857م1913م) يقوم على مستويين: مستوى اللّسان و الكلام، ويتفرع عن الثاني مستويان: أولهما الخطاب العادي وثانيهما الخطاب الأدبي، كما يبينه الرسم الآتي:

ويتبين لنا بوضوح أن ثمة فرقا بين الخطاب العادي النفعي والخطاب الأدبي الفني، فأولهما يعتمد على المباشرة ويخاطب العقل، ويرمي إلى التبادل النفعي والمتلقي لا يبذل جهدا كبيرا لفهم المراد منه، وتفتقر لغته إلى الممايزة وكد الذهن وإلى القواعد المتفق عليها من حيث الأداء في جوانبها الصوتية والنحوية والصرفية والدّلالية.[24]

أما الثاني فيخاطب الوجدان ويسعى إلى مس مشاعر المتلقي، فضلا عن تميزه بألفاظه المختارة ومعانيه المنتقاة المبتكرة، وقد يفهم المراد منه بيسر، وقد يقتضي إعمال الفكر وكد الذهن، فهو يتضمن" من معاني التفنن والصنعة ما ليس في اللغة النفعية."[25]

كما تتميز اللغة الأدبية عن اللغة العادية كونها تعمل على مراعاة قواعد اللغة الماثلة في تلك الضوابط الصرفية والنّحوية والدّلالية، وتتميز بطابعها الكتابي الذّي به تدوّن الآثار ويحفظ التّراث؛ ولهذا يسعى المبدعون إلى استبطان اللّغة للإفادة من طاقاتها التعبيرية ، وما يعضد هذا الطرح هو:"إن لغة الأدب هي التّي تحدد الإمكانات التعبيرية الجمالية التي توجد بشكل اعتباطي في لغة الخطاب فتفيد منها في إبداعات جديدة لا تنتهي."[26]

وتأتي الأسلوبية في هذا المقام لتتحدد بدراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحوّل الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية والجمالية، [27] ولذلك فهي تجد في اللغة الأدبية بطاقاتها التعبيرية وفنياتها المناخ المناسب والأرضية الملائمة لها لتتخذها مضمارا لنشاطها أكثر من اللغة العادية.

واختصت الأسلوبية بدراسة الموهبة والتفرد والإبداع في الخطاب الأدبي، ولهذا نجدها انصبت على البحث في فكر وشعور المتكلّم باللّغة، أي أنّ الأسلوبية لا تبحث في باطن تفكير الفرد بقدر ما تبحث في الاستعمال اللّغوي الفردي، كما عكفت على دراسة التّأثيرات الناجمة عن الآثار الأدبية لدى المتلقي، وهو ما يعرف عند الأسلوبيين بالاهتمام بالإمكانات الأسلوبية للغة الوظيفية الانفعالية[28].

ب- **اتجاهات الأسلوبية:**

انطلاقا مما سبق يمكن التمييز بين اتجاهين كبيرين، أحدهما يعنى بالمضامين الوجدانية العاطفية للتعبير، ولا يعير اهتماما للناحية الجمالية، ويمثله شارل بالي، وقد عرف هذا الاتجاه ب" الأسلوبية التعبيرية"و هي تمتاز بالخصائص الآتية:

1- تعكف على دراسة علاقات الشكل بالتفكير(عموم التفكير)، ووفق هذا التصور فهي تتفق مع تعبير القدماء.

2- لا تخرج عن الحدث اللساني المعتَبِر لنفسه.

3- تنظر إلى البنى ووظائفها داخل النظام اللغوي، وحسب هذا المنظور فهي وصفية.

4- تتعلق بعلم الدلالة أو بدراسة المعاني.[29]

أما الاتجاه الثاني فيعنى باللغة الأدبية وما تحمله من خصائص متعلقة بالمبدع ويسمى هذا الاتجاه بالأسلوبية الفردية، وهو ماثل في أعمال كارل فوسلر (Karl Vossler) (1872م-1949م) وتلميذه ليو سبيتزر وغيرهما، الذين رفضوا الاعتداد بالوقائع الأسلوبية كهدف في ذاتها.[30] ويتفقان على أنه لا يمكن الفصل بين الدراسة الأدبية واللّغوية، فالأستاذ يرى أن تحليل النص الأدبي ينهض على تتبع التأملات اللغوية العامة، بينما يوجه التلميذ اهتمامه وعنايته في التحليل إلى بنية النصوص ودلالتها الخالصة، [31] وتمتاز بالخصائص الآتية:

1- فهي نقد للأسلوب، وتدرس علاقات التعبير مع الفرد أو المجتمع الذي أنشأها واستعملها.

2- وهي دراسة تكوينية تتناول الحدث اللساني (التعبير) إزاء المتكلمين، وبذلك تبتعد عن المعيارية أو التقريرية.

3- وتعمل على تحديد الأسباب، ومن ثم فهي تنتسب إلى النقد الأدبي.[32]

ونوضح هذه الثنائية الأسلوبية من خلال الرسم الآتي:

يبيّن لنا هذا الرسم اتجاهين في الأسلوبية –كما سبق ذكرها– : الأول يتمثل في أسلوبية بالي القائمة على دراسة العلاقة بين التعبير والفكر في عمومه، أي الأسلوبية عنده هي "دراسة ظواهر تعبير الكلام وفعل ظواهر الكلام على الحساسية" [33]، بمعنى أنه إذا كانت اللغة تعتمد على العقل والمنطق في التعبير، فإن العبارة تعتمد العاطفة والوجدان في نقل الشعور البشري.

ومن هنا يكون بالي قد اقترب من أسلوبية المنظومة وابتعد عن أسلوبية الفرد، فقد جعل العبارة منظومة لغوية مشحونة بعاطفة في مقابل أخرى لغوية ترتبط بالعقل والمنطق، ويقابل هذا الاتجاه حسب صلاح فضل بلاغة الأقدمين، أي البلاغة التقليدية.

أمّا الثاني فينعت بالأسلوبية الفردية التي تنظر إلى علاقة النص بالفرد أو الجماعة التي تبدعه، ولهذا فهي دراسة تعزف عن التقييم والتقعيد، وتسعى إلى تحديد البواعث والأسباب كما تعنى بالمقاصد؛ لأنها دراسة توليدية.[34]

ولم يغفل عدنان بن ذريل الإشارة إلى اتجاه ثالث، لينضم إلى الاتجاهين السابقين الماثل في الأسلوبية البنيوية التي يمثلها ميكائيل ريفاتير (Michael Riffatèrre)[35] ويتضمن هذا

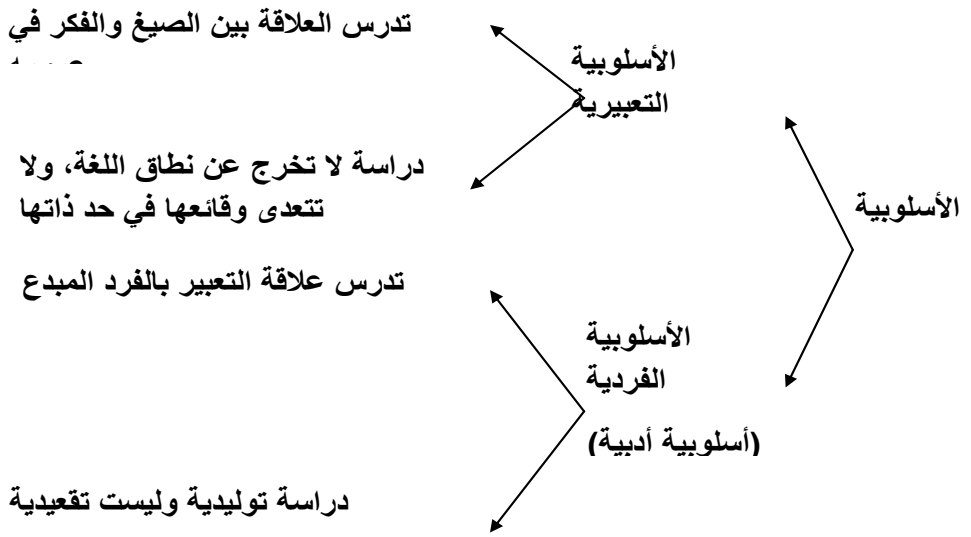

الاتجاه بعدا ألسنيا ذا علاقة بعلم النحو والمعاني والصرف، غير أنه لا يلتزم بصرامة القواعد.

كما ظهر اتجاه رابع وسم ب" الأسلوبية الإحصائية" الذّي يرتكز على الإحصاء الموضوعي محاولا الوصول إلى تحديد الملامح الأسلوبية للنص وإحصاء العناصر اللغوية فيه وهذا لتفحص النص واستكناه جوهره الأدبي.

والأسلوبية عند بيار جيرو[36] (pierre guiraud)مجال انتقائي للتحليل الأسلوبي، وذلك أن اللغة مجموعة من البصمات، تخضع للإحصاء ف :" هو العلم الذي يدرس الانزياحات، وهو المنهج الذّي يسمح بملاحظتها وقياسها و(تأويلها) فهو أداة فعالة في الدرس الأسلوبي."[37]

ويرى بيار جيرو أنّ الأسلوبية تدرس المتغيرات اللّسانية بالنظر إلى المعيار القاعدي، وهذا يتطابق مع التقليد القديم الذّي يضع البلاغة في مواجهة القواعد، التّي تعدّ من هذا المنظور مجموعة من القوانين، أي مجموعة الالتزامات التي يفرضها النظام والمعيار على مستعمل اللغة. فالأسلوبية تحدد نوعية الحريات داخل هذا النظام، والقواعد هي العلم الذّي لا يستطيع الكاتب أن يصنعه، أما الأسلوبية فهي ما يستطيع فعله". [38]وحسب هذا التصور فالأسلوبية تعنى بحسن تصرف المبدع في الظاهرة اللغوية إبداعا واستعمالا، كون أن الأسلوب من هذه النظرة يمثل "مجال التصرف".[39]

مجالات الأسلوبية:

لم تعد الأسلوبية غريبة بين المشتغلين في الأنظمة الثقافية، بدليل ما هو مشاهد من كثرة الدّراسات المتتابعة والمتلاحقة، التي يُكمِّل بعضُها بعضا في كثير من الأحيان، ولعلّ السر وراء ذلك هو ما تمتاز به الأسلوبية من قدرة على ملامسة ما يصطلح عليه ب"أدبية الأدب"كونها تبحث عمّا يتميز به الكلام الفني من مستويات الخطاب.

ويشكل النص بمكوناته اللغوية وخصائصه النوعية مضمار نشاط الأسلوبية، ولا تتعداه إلى ما هو خارجي من العوامل المؤثرة، وفي الوقت نفسه لا تكتفي بملاحظة العلاقات القائمة بين الرموز اللسانية فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى العلاقة بين التفكير والتعبير، التّي لا يمكن الكشف عنها إلاّ بالتأمل والتدبر في الفكرة والتعبير معا، بدءا بتحديد الوسائل التعبيرية المختلفة له، كالوحدات الدّلالية والأنماط النّحوية والإيقاعية، وصولا إلى بواعثها النفسية وآثارها الجمالية.[40]

ويتضح لنا في ضوء ما سبق أنّ الأسلوبية لا تعدو أن تكون تناولا فنيا للظاهرة اللّغوية، وتقصيا للكثافة التّأثيرية التّي يشحن بها الباث كلامه، يقول المسدي: " إنّ مهمة الأسلوبية هي تتبع الشحن في الخطاب عامة، أو ما يسميه اللغويون بالتشويه الذي يصيب الكلام، والذي يحاول المتكلم أن يصيب به سامعه في ضرب من العدوى"[41].

وهذا ما جعل المشتغلين في هذا الميدان يحددون مجالات معينة تتحرك الأسلوبية في خضمها لمقاربة النص بغية الكشف عن مكوناته اللغوية وخصائصه النوعية، وهي: الإختيار والتّركيب والإنزياح.

أ- الاختيار[42]: (Sélection)

إذا كانت القدرة على التعبير تشكل جوهر الأسلوب، فإن الإختيار يعتبر صفته البارزة والملازمة له، بل هي الظل الذّي لا يفارقه، وهو ما جعل مفهوم الاختيار يرتبط بمفهوم الأسلوب؛ الذّي له صلة بثقافة المبدع ونمط تفكيره؛ وما الأسلوب إلاّ ناتج عن تفاعل الباث باللغة، وهذا الناتج لا وجود له خارج ممارسة مقولة الاختيار.

ولما كان الاختيار يسهم في توضيح صورة الأثر الجمالي، فلقد أصبح لزاما على الباث أن يؤثر كلمة أو عبارة أو تركيبا يراه يفضل عن غيره من حيث السلامة والصدق في توصيل المراد، [43]ومن هذا المنطلق يجعل الاختيار من الأسلوب- بوصفه ممارسة عملية للأدوات اللغوية- عملا واعيا وقصديا يرغب عن العفوية والمجانية وهذا ما يؤكده روزو بقوله:" إنّ الأسلوب موقف يتخذه الباحث مما تعرضه عليه اللغة من شتى الوسائل التعبيرية"[44].

فليست هذه القضية غريبة في تراثنا البلاغي والنقدي، وإن كانت قد نوقشت بصور مختلفة إلاّ أنّها تكاد تتفق في مغزاها العام، يقول أبو هلال العسكري:" وتخير الألفاظ وإبدال بعضها من بعض يوجب التئام الكلام، وهو أحسن نعوته، وأزين صفاته، فإن أمكن مع ذلك منظوما من حروف سهلة المخارج كان أحسن له، وأدعى للقلوب إليه، وإن اتفق له أن يكون موقعه في الإطناب والإيجاز أليق بموقعه وأحق بالمقام والحال، كان جامعا للحسن بارعا في الفضل".[45]

وتجعل القدرات الفنية واللغوية المنشئ قادرا على ممارسة الاختيار وصورة ذلك "أنّ مقومات الاختيار في الخطاب الإنشائي تذعن لمقتضيات العلاقات الركنية، ففي الجملة التالية:﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾[46]...الأداة "إذا" اختيرت على حساب (إنّ- عندما- لما- حينما...)، وكذلك فعلُ "جاء" قد اختير ضمن: (قَدِم- حلَّ- أطلَّ- هبَّ- أتى...)، إلاّ أنّ في "جاء" انسجاما مع "إذا"

ليس لغيره من تلك الأفعال بما أنّه يحتوي الهمزة الختامية التّي هي في "إذا" ابتداءً، وينبني على فتحة طويلة في مقطعه الأوّل وهي الموجودة في المقطع الثاني من "إذا".[47]

ويتضح لنا من تفسير المسدي للآية الكريمة أن العلاقة بين "إذا"و"جاء" مناسبة جدا لإفادتها الاستقبال فضلا على الشرط، ولاختصاص "إذا" بالأمر المتيقن منه المتمثل في مجيء النصر، وتلاها مباشرة الفعل "جاء" لإفادته الإتيان من أي وجه كان، [48] ويكون هذا الاختيار أسلم وأصدق تعبير على المعنى المراد في قوله تعالى.

إنّ القضايا التي تنسحب من رحم البلاغة سواء كانت من علم المعاني أو علم البيان تعد روافد هامة تستند إليها الأسلوبية لاستجلاء مكنونات النص وجمالياته الفنية، واخص بالذكر ظاهرة الحذف، ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ، اِسْتَأْذَنَكَ أولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا: ذَرْنَا نَكُنْ مِعَ القَاعِدِينَ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ، وَطُبِعَ عَلَىقُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾[49]، فنلاحظ أن السياق ورد بأسلوب البناء للمجهول، فأضمر الفاعل وجاء فعله بصيغة المبني للمجهول، فقوله تعالى:﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يفْقَهُونَ﴾.

وإذا حاولنا البحث عن السر في ذلك، وجدنا قوله:﴿طُبِعَ﴾ جاء في آخر آية افتتحت الآية التي قبلها بقوله تعالى:﴿إِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾[50]، والتقدير: إذا أَنزل الله سورة، ولما صدّرت الآية بفعل علم أن فاعله "الله" فلم يقتض المقام ذكر الفاعل، وجاء الفعل في الآية التي تلتها محمولا على الفعل الأول؛ لأنه معلوم أن الله يطبع على قلوبهم، كما علم أنّ الله ينزل السورة.

وكما هو معلوم أن لكل نص كريم نسقه، وعلاقاته السياقية، وبنيته النّصية الخاصة، وذلك كأن تؤثر أسلوب البناء للمعلوم أو تعدل عنه وتؤثر عليه أسلوب البناء للمجهول، فيضمر الفاعل، وهذه المسألة تعد ظاهرة أسلوبية مطردة في آي القرآن الكريم.[51]

ب– التركيب: يقوم على تنضيد الكلمات ونظمها لتشكيل سياق الخطاب الأدبي، وهو طرف فاعل في الظاهرة اللغوية، وبه يقوم الكلام، المجسد للغة[52]كونه ينهض في نظر الأسلوبيين على خاصية سابقة عليه وهو الاختيار الذي لا تظهر قيمته إلاّ إذا كان تركيب الوحدات الدّلالية المختارة تركيبا محكما في الخطاب الأدبي. وهذا لأنّ بالتركيب تكتمل صورة التعبير اللّغوي، ويخرج من حيز الوجود بالقوة إلى حيز الوجود بالفعل [53]، متوسلا بمستويين: الحضور والغياب فهي تتوزع سياقيا على امتداد خطي، ويكون لتجاوزها تأثير دلالي وصوتي وتركيبي، وهو ما يدخلها في علاقات ركنية، وهي تتوزع –أيضا– غيابيا في شكل تداعيات للكلمات المنتمية لنفس الجدول الدلالي، فتدخل في علاقة جدلية أو استبدالية.[54]

ذلك أنّ اللغة في سائر أنظمتها معين صامت خفي حتى إذا حاول المنشئ إيقاظها، توافدت عليه تلك الأنظمة لتمارس عليه ضغطا، ولكن صلة الفكر بتلك الأنظمة هي التي تحدد جملة من الضوابط والقوانين، فتسعى من خلالها للتوفيق بين الأفكار المعبّر عنها وبين تلك الأنظمة، وفي هذا الشأن يقول تمام حسان:" واللغة العربية بهذا مكونة من ثلاثة أنظمة وقائمة من الكلمات التي لا تنتظم في جهاز واحد، وهذه الأنظمة والقائمة تكون معينا صامتا، فإذا أردنا أن نتكلم أو أن نكتب نظرنا في هذا المعين الصامت فوضعنا محتوياته في حالة عمل وحركة، فأخذنا منه الكلمات ورصفناها على شروط الأنظمة، أي بحسب قواعد اللغة، وخرجنا من دائرة الصمت اللغوي إلى دائرة النطق الكلامي، أي من حيز السكون إلى حيز الحركة، ومن حيز الإمكان إلى حيز التطبيق."[55]

ويتضح مما سبق أنّ تعامل المنشئ مع اللغة في غاية الأهمية والتعقيد، فهو من جهة يريد الإفصاح عن حسه ومن جهة أخرى يريد تصوير الوجود انطلاقا من تركيب الأدوات اللغوية تركيبا "يفجر الطاقات التعبيرية الكامنة في اللغة بخروجها من عالمها الافتراضي إلى حيز الموجود اللغوي".[56]

وفي ضوء هذا التصور لعملية الإبداع الأدبي القائمة على الجانب التركيبي للأدوات اللّغوية في النص الأدبي، المتفق مع ر.جاكبسون (Roman Jakobson) (1896) الذي يرى أنّ الحدث الأسلوبي قائم على" ترتيب عمليتين متواليتين وهما

اختيار المادة التعبيرية من الرصيد اللغوي، ثم تركيب هذه المادة اللغوية بما تقتضيه بعض قواعد النحو وبما تسمح به سبل التصرف والاستعمال."[57]

إنّ قدرة منشئ الكلام وبراعته تتبدى من خلال طريقة تركيب أدوات اللغة وترتيبها وتفاوتها داخل البناء اللّغوي الذي يستند إلى حسن الاختيار والتصرف ودقة توخي معاني النحو، أي براعته في استفادته من طاقات اللّغة حسب قوانينها. [58] وهذا ما يحدث التمايز بين المنشئين الذي قال عنه عبد القاهر الجرجاني:"فإنك تجد متى شئت الرجلين قد استعملا كلمات بأعيانها، ثم ترى هذا قد فرع[59] السماك، وترى ذلك قد لصق بالحضيض"[60].

ج- الانزياح:

يعد الانزياح من أهمالأركان التي قامت عليها الأسلوبية حتى عدّه بعض أهل الاختصاص كل شيء فيها، وعرفوا الأسلوبية أحيانا بأنّها علم الانزياحات، [61]وهو يعني استعمال المنشىء للغة، مفردات وتراكيب وصورا استعمالا يخرج بها عما هو مألوف ومعتاد، فهو الفيصل ما بين الكلام الفي وغير الفني.[62]

ويعد الانزياح مؤشرا هاما على أدبية النص الأدبي وعامل تميزه، لما له من دور جمالي كبير في لفت انتباه القارئ، وذلك أن الخروج عن النسيج اللغوي العادي والمألوف في أي مستوى من مستوياته، الصوتي، التركيبي، البلاغي، الأسلوبي يمثل في حد ذاته حدثا أسلوبيا، يقول منذر عياشي أن الانزياح يظهر على نوعين:" إنه إما خروج على الاستعمال المألوف للغة، وإما خروج على النظام اللغوي نفسه أي خروج على جملة القواعد التي يصير بها الأداء إلى وجوده، وهو يبدو في كلا الحالين كما يمكن أن نلاحظ، وكأن كسر للمعيار. غير أنه لا يتم إلاّ بقصد من الكاتب أو المتكلم، وهذا ما يعطي لوقوعه قيمة لغوية وجمالية ترقى به إلى رتبة الحدث الأسلوبي."[63]

واهتمت الدّراسات الأسلوبية بظاهرة الانزياح؛ لأنها قضية أساسية في تشكيل جماليات النص الأدبي، كما أنّه حدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام الفني وصياغته، ويبتعد بنظام اللغة عن الاستعمال المألوف، كما ينزاح بأسلوب النّص عن السنن اللّغوية، فيحدث في النّص إنزياحا يحقق للمتلقي متعة وفائدة[64].

وورد في تعريف م. ريفاتير للأسلوب أنه انزياح عن النمط التعبيري المتواضع عليه وهو خروج عن القواعد اللّغوية، وعن المعيار الذي هو الكلام الجاري على ألسنة الناس في استعماله الذّي غايته التوصيل والإبلاغ .[65]

إنّ الحدث اللساني يأخذ صفاته ويكتسب تميزه من الخروج عن الأنماط النظرية في اللغة، كون أدبية النص تنسحب من هذا الخروج المنعوت بالانزياح، وشكّل هذا الأمر انطلاقة ليو سبيتزر المتميزة في الدّراسة الأسلوبية لأي نص، وذلك باعتماده على انحراف أسلوب الفرد عن الأنماط اللّغوية، وهو ما جعله يوجّه عنايته إلى تحليل هذا الانزياح؛ لأنّ الشخصية "مرتبطة بمنظومة من الانحرافات والفوارق، تقاس بالنسبة للغة السّائدة كوضع ثقافي إلاّ أنّ الثقافة تحتويه أو تحاول احتواءه في اللّسان المألوف".[66]

الأسلوبية واللّسانيات:

تقتضي الضرورة المنهجية وطبيعة البحث من الدارس الوقوف عند العلاقة القائمة بين الأسلوبية واللسانيات، وإبراز أهم التقنيات التي أفاد منها كل علم لبناء صيغة علمية دقيقة لتحليل النص الأدبي ، ونستهل حديثنا من مسلمة لا يمكن لأحد أن ينكرها وهي أنّ الأسلوبية هي أحد ما تفرع عن اللّسانيات من علوم اللغة الحديثة لتسعى إلى تكملة الدّراسة تنظيرا وتطبيقا ومنهجا. وارتبطت بها ارتباط النتيجة بالسبب، ذلك أنّ " العلاقة العضوية بين الكلام والأسلوب تمكن من استغلال المناهج الألسنية في تحليل علمي صحيح للأسلوب الأدبي، الذي ليس إلاّ صياغة كلامية هو الآخر."[67]

فالأسلوبية حسب وجهة نظر م. ريفاتير هي ألسنية تعنى بتأثيرات المرسلة اللغوية وعملية الإبلاغ، كما تعنى بظاهرة حمل الذهن على فهم معين وإدراك مخصوص.[68] ولما كانت اللسانيات تولي اهتمامها بالتنظير للغة كشكل من أشكال التعبير المفترضة، فإنّ الأسلوبية تعالج المحدث فعلا، أي تتناول الآثار الأدبية في حالة تحققها وإنجازها، لتدرس كيفية التعبير معتمدة على الوصف والتحليل، لفحص اللغة والتراكيب والتعمق في مواطن الجمال.

وعلى هذا الأساس فإنّ اللّسانيات تهتم باللّغة بوصفها مدركا مجردا تمثله قوانينها، أمّا الأسلوبية فتعنى باللّغة من حيث الأثر الذّي تتركه في نفس المتلقي.[69]

إن المهمة المنوطة بالأسلوبية هي دراسة النص الأدبي لاستنباط الخصائص الأسلوبية للغة، وبناء على هذا أصبح لزاما على الأسلوبية أن تعتمد على الدرس اللساني الحديث لكي تكون أكثر منهجية وموضوعية، وخير دليل في هذا المقام هو اعتماد كل من جاكبسون وريفاتير على المعايير والمقاييس التي جاءت بها اللسانيات الحديثة لدراسة العناصر التي تكون الأسلوب وعلاقاتها الوظيفية النفعية.[70]

إن التحليل اللّساني من وجهة نظر بلمر (F .Palmer) لايسعى إلى شرح القيم الجمالية؛ لأنّ الأدب في منظور اللّساني لا يعدو أن يكون مجموعة من الاختلافات الكلامية العادية المستعملة بين الأفراد، والتّي تشكل في الوقت نفسه مادة مناسبة للدراسة اللّسانية[71].

والحقيقة تعدّ الأسلوبية ثمرة انفتاح اللّسانيات على حقل الأدب، بوصفه بنى لغوية تتضمن قيما جمالية، وما اهتمام اللّسانيين بالأجناس الأدبية بغية إثراء نظرياتهم، لتكون أكثر دقة وشمولية لأحسن دليل على ذلك، وبقي على الأديب أن يستثمر النظريات اللّسانية، ليكون عمله أكثر تأثيرا في المتلقي، وهو عمل يسير ينسحب من مسوغ علمي يؤطره منطلق واحد ألا وهو اللغة، ويقوم على جدلية العلاقة الإيجابية بين اللّسانيات والأدب، ويؤكد هذه الحقيقة م. ريفاتير بقوله:" وبحكم القرابة بين اللغة والأسلوب، فإنه من المؤمَّل استخدام المناهج اللّسانية في الوصف الدّقيق والموضوعي لمسألة الاستعمال الأدبي للّغة."[72]

إن القضايا البلاغية بكاملها سواء كانت تنتمي إلى علم المعاني أو علم البيان تشكل روافد هامة تستند إليها الأسلوبية، لاستكناه دلالات النّص والوقوف على جمالياته الفنية.

وتأسيسا على ما سبق، يتجلى لنا أنّ تطور العلم يكون دائما قائما على مسلمة وهي "كل جديد لابد أن يهضم القديم ويفهمه فهما موضوعيا من أجل أن يتجاوزه"، أي توسع النظرية الجديدة القديمَ وتكشف أبعادا أخرى لم تستطع النظرية القديمة أن تفسرها، وهكذا يكون القديم متضَمَنا في الجديد.[73]

الهوامش:

1– نريد بالنص اللغوي الحي هنا ذلك النص الذي لم يوضع لغرض تعليمي؛ لأن في المثال التعليمي ينصب الاهتمام على جانب واحد بعد اجتزاء الشاهد من النص، مما ينسي الأجزاء الأخرى المتبقية، وبالتالي يفقد المثال دفء الموقع ويصبح باردا .

2– ينظر النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم: محمد صلاح الدين مصطفى بكر، د.ط، سنة 1979م، مؤسسة علي جراح الصباح، دار غرب– الكويت– ج1/3.

3– ينظر الأسلوبية –مدخل نظري ودراسة تطبيقية: د. فتح الله أحمد سليمان، د.ط، د.ت، مكتبة الآداب–القاهرة– ص 9.

4– ينظر الأقصى القريب في علم البيان : القاضي محمد بن محمد بن عمرو التنوخي، ط.1، سنة 1327هـ، مطبعة السعادة، ص 2–7.

5– ينظر الإيضاح في علوم البلاغة: الإمام الخطيب القزويني، ص80.

6– كتاب الصناعتين، ص153.

7– الأسلوبية والأسلوب : د. عبد السلام المسدي، ط.2، سنة 1982م، الدار العربية للكتاب، ص 52–53.

8– ينظر المرجع نفسه، ص 07.

9– ينظر المرجع نفسه، ص 138.

10– المرجع السابق، ص06.

11– يشير صلاح فضل إلى أنّ دراسته لعلم الأسلوب هي امتداد لما أنجزه الرواد الذين حاولوا تأصيل الدرس الأسلوبي في العربية أمثال : أمين الخولي، وأحمد الشايب، وغنيمي هلال، ينظر علم الأسلوب–مبادئه وإجراءاته:د.صلاح فضل ط. 1، سنة 1405هـ/ 1985م، دار الآفاق الجديدة –بيروت– ص8.

12– مقالات في الأسلوبية: د.منذر عياشي، د.ط، سنة 1990م، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص 179.

13– ينظر اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي : شكري محمد عياد، ط.1، سنة 1988م، دار الكتاب العربي–بيروت– ص06.

14– ينظر البلاغة والأسلوبية –نحو نموذج سيميائي لتحليل النص–:هنريش بليث،،د.ط، سنة 1986م، منشورات دراسات سال–الدار البيضاء– ص 53–54.

15– ينظر البلاغة والأسلوبية: د. محمد عبد المطلب،د.ط، سنة 1984م، الهيئة المصرية العامة للكتاب ص129.

16– ينظر خصائص الأسلوب في الشوقيات : محمد الهادي الطرابلسي، ط.1/1981م، المطبعة الرسمية–تونس– ص18.

17– الأسلوبية والأسلوب : د. عبد السلام المسدي، ط.2، سنة 1982، الدار العربية للكتاب، ص 38.

18– عالم لساني سويسري، ولد بجنيف ومات بها، اختص في اللغة اليونانية والسنسكريتية، وهو أحد تلاميذ دي سوسير، ومن مؤلفاته:" مصنف الأسلوبية الفرنسية(**Traité de stylistique française**) .

18– ينظر المرجع نفسه، ص 40.

19– المرجع نفسه، ص40، و **Charles Bally : traité de stylistique française- Paris klincksieck, 3ème éd. 1951. p : 1/12**

20–ينظر علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: صلاح فضل، ص17.

21– ليو سبيتزر عالم نمسوي الأصل، ألماني التكوين، فرنسي النشأة، وكان له اهتماما باللغة المحكية والكلام الأدبي وتاريخ المفردات، ينظر الأسلوبية والأسلوب: عبد السلام المسدي، ص 248.

22– ينظر الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث: إبراهيم عبد الله أحمد الجواد، د.ط، سنة 1996م، وزارة الثقافة، عمان– الأردن– ص25–26، ومقالات في الأسلوبية:د.منذر عياشي، ص32.

23– ينظر مقالات في الأسلوبية :د. منذر عياشي، ص 147.

24– المرجع السابق، ص149.

25– البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، ص 129.

26– ينظر الأسلوبية والأسلوب: عبد السلام المسدي، ص 34.

27–ينظر من الأسلوبية إلى الشعرية : جان ماري كلينكينير، ترجمة : فريدة الكتاني، مجلة علامات في النقد، العدد 33، مجلد، 9سنة1999م، النادي الثقافي– السعودية– ص 9–10.

28– ينظر مقالات في الأسلوبية : د. منذر عياشي، ص 44، والأسلوبية في النقد العربي الحديث – دراسة في تحليل الخطاب – : د. فرحان بدري الحربي، ط.1، سنة 2003م، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ص 16–17.

29– ينظر علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته : صلاح فضل، ص12.

30– ينظر المرجع نفسه، ص 50.

31– ينظر مقالات في الأسلوبية : منذر عياشي، ص45.

32– الأسلوبية الذاتية أو النشوئية: عبد الله صولة،مجلة فصول ، العدد 1/1984، عدد خاص بالأسلوبية، ص 83.

33– ينظر علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: صلاح فضل، ص 14.

34– أستاذ بجامعة كولومبيا أهم جامعات نيويورك بالولايات المتحدة، اختص بالدراسات الأسلوبية، ومن أهم مؤلفاته" محاولات في الأسلوبية البنيوية، ينظر الأسلوبية والأسلوب:عبد السلام المسدي، ص247.

35– لساني فرنسي، يدرس اللسانيات في جامعة نيس (Nice) .

36– الأسلوب والأسلوبية: بيار جيرو، ترجمة د. منذر عياشي، د.ط، د.ت، مركز الإنماء القومي –بيروت– ص 86.

37– المرجع السابق، ص13.

38– ينظر مقالات في الأسلوبية : منذر عياشي، ص37.

39– ينظر علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته : صلاح فضل، ص 165–166.

40– النقد والحداثة : د. عبد السلام المسدي، ط1، سنة 1983، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت–لبنان– ص 50

41– لا يمكن اعتبار كل اختيار يقوم به الباث اختيارا أسلوبيا، الأمر الذي أدى إلى التمييز بين نوعين من الاختيار:

أ– اختيار محكوم بالموقف والمقام، وهو اختيار نفعي يهدف إلى تحقيق هدف عملي محدد.

ب– اختيار تتحكم فيه مقتضيات التعبير الخالصة، وهو اختيار قائم على قواعد اللغة بمفهومها الشامل: الصوتية والصرفية والدلالية والتركيبية، ينظر الأسلوبية في النقد العربي الحديث: نور الدين السد، ص129–130، (مخطوط).

42– ينظر الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث: ابراهيم عبد الله أحمد جواد، ص40–41.

43– الأسلوبية في النقد العربي الحديث: نور الدين السد، ص130، والبحث الأسلوبي معاصرة وتراث:د.رجاء عيد،د.ط/ 1994م، منشأة المعارف بالإسكندرية جلال حزي وشركاه ص116و

Précis de stylistique française, Jule Marozeau ,p 17

44– كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري، ص109.

45– سورة النصر/01.

46– الأسلوبية والأسلوب : د. عبد السلام المسدي، ص 141.

47– ينظر الفروق في اللغة: أبو هلال العسكري، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، ط.5، سنة 1401ه/1981م، دار الآفاق الجديدة، بيروت،ص 302.

48– سورة التوبة/86–87.

49– سورة التوبة من الآية 86.

50– ينظر من أساليب التعبير القرآني–دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني : د. طالب محمد إسماعيل الزوبعي ط1، سنة1996م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، ص 220.

51– الأسلوبية والأسلوب: د. عبد السلام المسدي، ص 39.

52– ينظر المرجع نفسه، ص77–78.

53– ينظر الأسلوبية في النقد العربي الحديث: نور الدين السد ، ص 141 (مخطوط).

54–اللغة العربية معناها ومبناها:د. تمام حسان، ص40.

55– الأسلوبية والأسلوب : عبد السلام المسدي ،ص89.

56– الاتجاهات الأسلوبية في النقد الأدبي الحديث: إبراهيم عبد الله أحمد جواد، ص43.

57-عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني: البدراوي زهران، ط.2، سنة 1981م، دار المعارف القاهرة– مصر– ص239–240.

58– فرع : علا وسما

59– دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص 39.

60– ينظر علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته :صلاح فضل،ص179.

61-ينظر المرجع نفسه، ص182.

62– مقالات في الأسلوبية: منذر عياشي، ص81.

63– ينظر الأسلوبية والأسلوب: عبد السلام مسدي، ص93–94.

64–ينظر مفهومات في بنية النص: وائل بركات، ط1، سنة 1996م، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق–سوريا–ص 74.

65– أسلوبية الفرد : عبد الفتاح المصري، مجلة الموقف الأدبي، العدد 135–136، سنة 1982، ص 03.

66– محاولات في الأسلوبية الهيكلية: عبد السلام المسدي، حوليات الجامعة التونسية ص **277**.

67-ينظر المرجع السابق، ص **278**.

68-ينظر الأسلوبية والنظرية العامة للسانيات : منذر عياشي، البيان العدد **281**، رابطة الأدباء في الكويت، سنة **1989**م –الكويت – ص **64**، والبلاغة والأسلوبية: د. محمد عبد المطلب، ص **129**.

69– ينظر الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية: د. مازن الوعر، عالم الفكر، المجلد **22** العدد **3** –**4**، سنة **1994**م، وزارة الإعلام مطبعة الحكومة–الكويت– ص**145**.

70– ينظر المرجع السابق، ص**139**.

71 – معايير تحليل الأسلوب: ميكائيل ريفاتير، ترجمة، تقديم وتعليقات: د حميد الحمداني، ط **1**، سنة**1993**، منشورات دراسات سال، ص**16**.

72– ينظر التفكير العلمي:د. فؤاد زكريا، سنة **1988**، سلسلة عالم المعرفة–الكويت– ص**17**–**20**.

السياق وإشكالية الاستعمال:
المفهوم–المجال.

د.أحمد شعلال

كلية الآداب والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مستغانم

العائد إلى المدونة المعجمية/اللغوية يجد أنّ مصطلح السياق كان يطلق على عدة جهات دلالية تختلف باختلاف مبدأ الاستعمال والوظيفة،وعليه لا مانع من أن نسرد بعضا منها ثم بعدها نعقب وفق ما تقتضيه طبيعة التعقيبات المنهجية.

السياق لغة:

السياق مأخوذ من الفعل ساق يسوق سَوقا؛فهو من ثمة نظير الفعل قام ويقوم.وأصل الإطلاق القائم في الفعل ساق من السّواق-بكسر السين-؛حيث قُلبت الواو منه ألفا لسكونها وكسر ما قبلها،وهو السين،والمصدر الميمي في حقه يكون على صيغة مساق،ومنه قوله تعالى{إلى ربّك يومئذ المساق}[1].

وعند عودتنا إلى مبدأ الاستعمال القائم على إطاره الوظائفي نجد العرب على سبيل ما تقتضيه طبيعة السليقة كانت تقول في كلامها:ساق الإبل وغيرَها يسوقها سَوقا وسياقا،وتساوقت الإبل تساوقا إذا جاءت بمعنى التتابع،وساق إليها الصّداق-بكسر الصاد-والمهر سياقا وأساقه،وعليه يكون السياق بمعنى المهر،ويسوق الهدي،بمعنى يقدّمه،وساق بنفسه سياقا بمعنى نزع بها عند لحظة الموت.ويقال:فلان في موقع السياق بمعنى في النزع،والسياق نزع الروح، ويقال:دخل عليه وهو في السَّوق أو في سياق حال الموت بمعنى في حال النزع،كأنّ روحه تُساق لتخرج من بدنه[2].

أبعد من ذلك أنّنا نجد بعضا من الدلالات تستعمل في شأن مفهوم السياق مختفية ويظل معناها باقيا وحاضرا وفق ألفاظ أخرى تتماشى والبعد السياقي من مثل: الموضع،والمواضع،والمساق،والاتساق وسوق الكلام،ونظم الكلام،ومقتضى الحال، والتأليف، وهي كلها من حيث الإطار الوظيفي لا تخرج عم مفهوم السياق.

جاء في كتاب العين لأحمد الفراهيدي"سقته سياقا،ورأيته يسوق سياقا، أي ينزع نزعا،بمعنى الموت،وعليه يكون لفظ الساق يطلق على كل شجر وإنسان وطائر"[3].

وجاء في لسان العرب"ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا وهو سائق وسواق،وساق إليها الصداق والمهر سياقا وأساقه وإنّ دراهم أو دنانير؛لأنّ أصل الصداق عند العرب الإبل وهي التي تساق،وساق فلان من امرأته أي أعطاها مهرها، السياق المهر"[4].

وفي المعجم الوسيط يطلق السياق على معنى"ساق الحديث سرده وسلسله، وساوقه تابعه وسايره وتساوقت الماشية ونحوها تتابعت وتزاحمت في السير، وتساوق الشيئان تسايرا أو تقاربا،ويقال: ولدت المرأة ثلاثة ذكور ساقا على ساق أي بعضهم في إثر بعض،ليس بينهم أنثى،وسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه"[5].

ومن باب الموضوعية العلمية أنّنا نجد مثل هذه الدلالات اللغوية قد وردت في محكم التنزيل وفق مقامات متعددة،من بين هذه الاستعمالات ما يأتي:

1-قال الله تعالى{حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سُقناه لبلد ميّت فأنزلنا به الماء}[6] ؛ حيث جاء على لسان الشنقيطي ما بيانه أنّ الله تعالى"بيّن في هذه الآية الكريمة أنّه يحمل السحاب على الريح،ثم يسوقه إلى حيث يشاء من بقاع الأرض،وأوضح هذا المعنى بآيات متعددة نحو كقوله تعالى{والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميّت}وكذا قوله تعالى{أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون}"[7].

ويذهب الطاهر بن عاشور العالم الأصولي في تفسير قوله تعالى{ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا}([8])إلى أنّ "السوق تسيير الأنعام قدام رعاتها،يجعلونها أمامهم لترهب زجرهم وسياطهم؛فلا تنفلت عليه؛فالسوق:سير خوف وحذر"[9].

وبالنظر البعيد والدقيق في شأن هذه المعاني التي أشرنا إليها والمتعلقة في إطارها اللغوي المعجمي،يمكن أن نسجل بعضا من الحقائق المعرفية لعل من أهمها أثرا ما يأتي:

- ذلك المعنى القائم على السّرد والسلسلة أو التسلسل المحكم الذي يجيء في الغالب الأعم على تتابع مع غير انقطاع أي حدوث فاصل بين مجيء الشيء إثر شيء آخر،تماما ما حاول تبيانه صاحب معجم لغة الفقهاء[10].
- ذلك المعنى القائم على نية التقديم بين يدي الشيء،وهو ما نجده كما بيناه سالفا مجسدا بوضوح في مقام النكاح أي المهر.
- ذلك النزع أو بمعنى الانتزاع الذي يستوجب نوعا من الصبر والتحمل،وهو ما يقع في الغالب في مصيبة الموت والفراق.
- ذلك التقارب القائم على نية الحال أو المشهد؛إذ نجد في كثير من الاستعمالات التي يوظّف فيها السياق إلا وهو يصاحب مقام الحال الذي بدوره يختلف باختلاف الإطلاقات السياقية،وإن كنا نرى بأنّ مثل هذا النوع من الاستعمال إنّما يوجد بكثرة في الدراسات القرآنية وكذا الأصولية،وهو ما سنبينه في مقامه.

ولعل أحسن من استطاع أن يجيز في أهم الدلالات التي يحويها الفعل ساق في حواليته اللغوية المعجمية عبد الوهاب الحارثي حين قال"إنّ كلمة ساق،تثير في الذهن معنى لحوق شيء لشيء آخر،واتصاله به،واقتفائه أثره، كما تثير معنى الارتباط والتسلسل والانتظام في سلك واحد"[11].

السياق من الوجهة الاصطلاحية:

لا يعقل من حيث المنهج أن نتعامل مع مفهوم السياق وفق ذلك الحكم المتفق عليه-حسب ما يزعم التصور المصطلحاتي-،وذلك بحكم أنّ طبيعة المفهوم ذو صبغة لا تستقر على حال،وعليه اقتضى المقام منا أن نعود إلى تصور القدامى والمحدثين من الغرب لنستشف في النهاية أهم الأبعاد المعرفية التي يأخذها مفهوم السياق داخل المدونة التي يرد فيها سواء من حيث التحديد أم الوظيفة.

السياق من منظور القدامى بين حالة الانفراد والاقتران:

الجدير بالذكر أنّ المتأمل في ورد السياق في المدونة العربية يجده يأخذ موقعين اثنين:أحدهما على سبيل الانفراد،والثاني على سبيل الاقتران،وذلك تبعا للقرائن التي كانت تلازم حركية السياق في جل الاستعمالات اللغوية.

جاء في كتاب كشف الأسرار على نية الإطلاق القائم في شأن السياق ما معناه:دلّ سياق الكلام على كذا،وهذا ما يدل عليه سياق القول وسباقه،ولا بد من مراعاة سباق القول وسياقه ولحاقه،... بل تجدهم في مقامات أخرى يقولون: سيق النص لغرض كذا أو لربّما لقصد كذا، وسيق له الكلام أصالة أو تبعا،ولم يسق له الكلام،ويقولون أيضا:ويأبى عليه السياق،ويردّه السياق،ويجافي السياق،يناسب السياق، ويدل عليه مساق الكلام،وهلم جرا مما هو مدون في هذا الشأن والقائم على استعمالات السياق وفق تركيبات متعددة ومتنوعة[12].

بل نجد بعضا منهم من غدا يطلق في شأن ورود أحوال السياق قولهم:دل عليه أول الكلام أو لربّما وسطه أو آخره،ودلّ عليه نظم الكلام، ويقتضيه نسق الكلام[13].

وبحكم أنّ طبيعة المادة المعرفية التي أشارت إلى دلالة السياق كثيرة من قبل القدامى فإنّنا سنكتفي ببعض من المصنفات التي نراها تحقق لنا بعدا معرفيا ومنهجيا في ما نريد التوقف عنده ولنبدأ على بركة الله تعالى وعونه بالشافعي في كتابه الرسالة،والغزالي في مستصفاه،والسرخسي في أصوله، والشاطبي في موافقاته وهلم جرا مما تقتضيه طبيعة الدراسة.

السياق لدى الشافعي:

يقول الشافعي في بيان مفهوم السياق ما نصّه"إنّما خاطب الله بكتابه العربَ بلسانها،على ما تعرف من معانيها،وكان مما تعرف من معانيها؛اتساع لسانها،وأنّ فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر،ويستغنى بأول هذا منه عن آخره،وعاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه،وعاما ظاهرا يراد به الخاص، وظاهرا يعرف في سياقه أنّه يراد به غير ظاهره،فكل هذا موجود علمُه في أول الكلام أو وسطه أو آخره، وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره،وتبتدئ الشيءَ يبين آخر لفظها منه أوله،وتكلّم بالشيء تعرّفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ، كما تعرّف الإشارة،ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها،لانفراد أهل علمها به،دون أهل جهالتها،وتسمي الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة،وتسمي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة"[14].

جرت عادة لغة القدامى أنّهم على حد اعتقاد التصور اللساني يتحدثون بلغة واصفة في الغالب تضمر في عمقها مفاهيم ومصطلحات ليس من السّهل الكشف عنها وضبطها ضبطا يتماشى ومقتضيات المقام والحال؛الشيء الذي يجعلنا نستشف منطقيا أنّ ثمة عبارات في هذا النص المستشهد به للشافعي تنم عن بعد مفاهيمي له علاقة بالسياق،ويمكن سرد هذه العبارات على النحو التالي:

- يستغنى بأول هذا منه عن آخره
- يستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه
- يُعرف في سياقه أنّه يراد به غير ظاهره
- كل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره
- يبين أول لفظها فيه عن آخره
- يبين آخر لفظها منه عن أوله.

تعقيب وتوجيه:

قد يعتري بعض من لوازم الإبهام في حق هذه الإشارات التي حاولنا أن نركز عليها وهي تنم عن بعد معرفي له علاقة بالسياق؛ذلك أنّ مثل هذه الإطلاقات تعكس حقائق سياقية قد ترد في التراكيب في أوله أو آخره أو وسطه وذلك حسب ما تقتضيه طبيعة القرائن التي حاول الشافعي تبيانها في تلك التحركات النصية أو العبار اتية التي كان يغلب عليها الطابع الأصولي في كثير من المقامات،ولعل أدنى دليل على ذلك ما صرّح به هو بنفسه في النص السالف الذكر حين قال بالحرف الواحد"وتكلّم بالشيء تعرّفه بالمعنى،دون الإيضاح باللفظ،كما تعرّف الإشارة"وهذه عبارة تجعل من حركية النص أو مفهوم السياق يأخذ بعدا معرفيا آخر له علاقة بالحدث الكلامي الملازم للمعنى والإشارة ومراد المتكلم وغيرها,بعبارة أدق إنّ مثل هذه العبارة تكشف على[15]:

- أنّ ذلك تكلّم به العرب،أي يوجد الكلام بجزء منه
- إنّ التوصل إلى المراد يكون من معنى الكلام دون لفظه
- شبّه ذلك بالإشارة،والإشارة دائما تكون إلى الأمور الواقعة في الخارج
- إنّ اللفظ يكون تابعا للمعنى دون العكس

السياق/المقام لدى أبي حامد الغزالي:

على أنّنا في مثل هذا النوع من التحديد المتعلق بشأن السياق لدى الشافعي الأصولي نرى بأنّه إما أن يحقق نوعا من التلازم مع مفهوم المقال اللفظي،أو مع ما يمكن تسميته بالسياق المقامي؛في الوقت الذي نجد شخصية أصولية أخرى تولي اهتمامها البالغ إلى بعد السياق من منظور ما يقوم به المقام من دلالات تختلف باختلاف مبدأ الإطلاق .إنّه الإمام أبو حامد

الغزالي في كتابه المستصفى معتبرا بأنّ السياق هو في الحقيقة يشمل المقام وليس العكس؛حيث عدّ ذلك فنّا خاصا أسماه بالمقام الذي يقتبس من الألفاظ بعيدا عن الصيغة الخارجية،وإنّما هو مقتبس من حيث فحواها وإشارتها[16].

غير أنّ من طبيعة الغزالي أنّه عند تعامله مع المفهوم يحاول بكل جهد أن يعطي له غالبية الاستعمالات التي يؤديها داخل التركيب وخارجه؛فهو يبين الصور التي يأخذها المقام وفق الأحكام المعرفية التي يحتلها؛فمن إطلاقاته"ما يسمى اقتضاء،وهو الذي لا يدل عليه اللفظ ولا يكون منطوقا به،ولكن يكون من ضرورة اللفظ إما من حيث لا يمكن كون المتكلم صادقا إلا به،أو من حيث يمتنع وجود الملفوظ شرعا إلا به،أو من حيث يمتنع ثبوته عقلا إلا به"[17].

إنّ أدنى تأمل في هذا الضرب من الإطلاق في شأن المقام يهدي بالعاقل أن يستنتج عدة أبعاد معرفية من أهمها:

- لعل صدق المتكلم في ظل حديث الكلامي هو أمر لا يستطيع أن يتجاوز حدود ما يسمى بمبدأ القرائن على ضربيها:اللفظي والمعنوي
- ثم إنّ ميزة اللفظ الشرعي-على حد تعبير الغزالي-إنّما تتوقف على حقيقة معرفية تطلق لدى الفكر الأصولي بالمبدأ القصدوي أو القصدية (**Intentionnalité**)،وهذا المبدأ أو الحقيقة تتوزع وفق اللفظ الشرعي على معرفة العادات والأحكام المتعلقة بالشارع والتي هي من لب ما يقتضيه الشارع من أسرار وضوابط
- ثم إنّ معرفة البعد المعرفي للحدث الكلامي سواء المنجز منه أم المكتوب إنّما يتوقف على معرفة دقيقة بالمقام والأحوال التي تتغير وتجدد حسب مبدأ الاستعمال ليس غير.

ويواصل الغزالي في تبيان صور استعمالات المقام في الخطابات القرآنية قائلا "ومن صوره فهم غير المنطوق به من المنطوق به بدلالة سياق الكلام ومقصوده،كفهم تحريم الشتم والقتل والضرب من قوله تعالى{فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما}-الإسراء 23-،وفهم تحريم مال اليتيم وإحراقه وإهلاكه من قوله تعالى{إنّ الذين يأكلون أموال اليتيم ظلما إنّما يأكلون في بطونهم نارا}النساء الآية 10،ولا يفهم هذا التنبيه ما لم يفهم الكلام وما سيق له،فلولا معرفتنا بأنّ الآية سيقت لتعظيم الوالدين واحترامهما لما فهمنا منع الضرب والقتل من منع التأفيف"[18].

ومن اللافت للانتباه أنّه من بين صور المقال السياقي في مثل هذا النص للغزالي ورود الحكم في شأن حركية المقام دون الإفصاح عنه وهو ما يعبّر عنه لدى الأصوليين باللا منطوق أو غير المصرّح به،وهو ما حاول الغزالي أن يستدل عليه بتلك الآيات التي ظاهرها يعطي دلالة غير الدلالة الباطنية أو غير المصرّح بها، والحقيقة هذا النوع من التعامل الذي سار عليه الغزالي هو موجود في الدرس الأصولي والذي يطلق عليه في الغالب الأعم بمفهوم أو مصطلح: الغرض الذي من أجله سيق النص أو الحكم على اختلاف التوجهات والتصورات بين الأصوليين.

والجدير بالذكر في هذا الطرح القائم على سبيل مبدأ التباين بين مفهومي: السياق والمقام،نجد غالبية الحنفية من يزاوجون في عملية الإطلاق أو الاستعمال بين سياق النظم وسياق المقال،بل أبعد من ذلك الأول يقوم مقام الثاني في الإطلاق؛وذلك بحجة أنّ دلالة النظم عندهم لا تخرج عن دلالة اللفظ ولا تتعدى حواليته المفهوماتية [19]؛وهم إذ يؤمنون بهذا النوع من الإطلاق فإنّهم كعادة المفسرين يستدلون على ذلك بكثير من الآيات الكريمات،من مثل{فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}من سور الكهف الآية 29.

وكذلك الآية{اعملوا ما شئتم إنّه بما تعملون بصير}فصلت الآية 40؛ففي الآية الأولى يذهب صاحب الأصول السرخسي في تفسيره إلى أنّ صيغة الأمر الواردة في سياق الآية القائمة على سبيل الإيمان أو الكفر لا تدل لا من قريب ولا من

بعيد على مبدأ التخيير والإباحة،والقرينة التي تنبث ذلك هي قرينة سياق النظم، ومن ثم يكون معنى الآية هو الوعيد بالنار لمن تحقق فيه الكفر وظلم ولم يلتزم بالإيمان.على أنّ صيغة الأمر الواردة في الآية الثانية لا يُحمل على الإذن،بحكم أنّه يفارق سياق النظم،على أساس أنّ سياق النظم يعطي لبعد الآية بعدا آخر وهم أنّهم يحاسبون على أعمالهم التي عملوها في دار الدنيا،وذلك بقرينة الفهم عن طريق سياق نظم الآية{إنّه بما تعملون بصير}[20].

ثم إنّ الحنفية كعادة علماء الأصول يبتعدون باستعمال النظم السياقي في أحوال أخرى على إطلاقات متنوعة ومتعددة كلها لا تخرج عن حركية السياق الملازم لمبدأ دلالة النصوص؛فتجدهم يستعملون في كلامهم عبارة سيق له الكلام أو سيق من أجله الكلام،أو المسوق له الكلام،أو على ضوئه سيق الكلام،كل هذه الإطلاقات يستعملونها وهم يتناولون في أبحاثهم الأصولية مفاهيم من مثل:الظاهر والنص والمبيّن أو البيان، والعبارة والإشارة،والمجمل والمفصّل [21]؛الشيء الذي يجعل من الأصولي/الحنفي يشير إلى دلالة القرائن المقالية أو المقامية وفق هذه الأحكام والضوابط.

ويبتعد مبدأ الاستعمال الكائن في التلازم القائم بين المقام والسياق على سبيل أنّ الأول من الثاني أو أنّ الأول يعد ركنا أساسيا من أركان الثاني عند صاحب الموافقات الإمام الشاطبي الذي كان في الغالب يوظف مثل هذه الحقيقة المعرفية في كثير من المفاهيم الأصولية؛فعلى سبيل المثال عند تعامله مع مفهوم العموم يقول في شأنه"إنّ العرب تطلق ألفاظ العموم بحسب ما قصدت تعميمه(...)كما أنّها أيضا تطلقها وتقصد بها تعميم ما تدل عليه في أصل الوضع،وكل ذلك مما يدل عليه مقتضى الحال"[22]،بل"الحاصل أنّ العموم إنّما يعتبر بالاستعمال، ووجوه الاستعمال كثيرة،ولكن ضابطها مقتضيات الأحوال التي هي ملاك البيان"[23].

مفاد هذا النص أنّ الشاطبي يشير إلى أنّ مبدأ الاستعمال المشار إليه في طيات النص هو وضع اللفظ الدال على العموم في السياق الذي يليق به،ثم غدا يبين صور وأشكال وقوع حركية العام داخل السياقات التركيبية؛على أساس أنّ من بين صور السياق أن يجعل من اللفظ أو عملية النطق ما لازم إما الإطار الإفرادي أو الجملي أو العباراتي القائمة على مبدأ الاستعمال؛هذا الاستعمال الذي له قيد متى ورد داخل التراكيب راح يأخذ في ظله أبعادا تختلف باختلاف المقامات والأحوال.

ما يمكن قوله من خلا ل هذا التَّطواف السريع أنّ السياق اللغوي من المنظور الأصولي أضحى يلعب دورا فعّالا في المجال المعرفي وبخاصّة ما تعلق بالظواهر اللغوية التي كانت في ما بعد بمثابة الحجر الأساس لبناء التصور اللغوي لدى غالبية علماء الأصول؛حيث أضحت المقدمة اللغوية التي يدخل بها الأصولي إلى دراسة عالم الأحكام تعد بحق الميزة الأساسية لكل باحث أصولي؛الأمر الذي جعل من المدونات الأصولية على الإطلاق تسير وفق هذه الشاكلة إلى يومنا المعاصر بله الحاضر دون أن يصيبها تشويه أو نقص لا من حيث التحديد ولا الوظيفة معا.

الهوامش:

[1]– من سورة القيامة الآية **30**.

[2]– ينظر ابن منظور: لسان العرب– دار صادر، د. ط، بيروت، المجلد **10**، ص ص: **166–167**.

[3]– أحمد الفراهيدي: العين. **190/5**.

[4]– ابن منظور: لسان العرب. مادة سوق.

[5]– المعجم الوسيط مادة سوق.

[6]–من سورة الأعراف الآية **56**

[7]– محمد أميد الشنقيطي: أضواء البيان. **242/2**، والآية الأولى من فاطر **9**، والثانية من سورة السجدة **27**.

[8]– من سورة مريم الآية **87**.

[9]– الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. **168/8**.

[10]– ينظر قلعه جي، محمد رواس وزميله: معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، ط**1**، عمان، **1985**م، ص:**252** وما بعدها

[11] عبد الوهاب الحارثي أبو صفية: دلالة السياق،منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، دار المكتبات والوثائق الوطنية، د، ط، عمان، **1989**م، ص/**85**.

[12]-ينظر علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، ضبط وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط**2**، ، بيروت، **2/ 393– 398**

[13]– ينظر أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، ط**1**، بيروت، **1995**م، ص ص: **29–31**..

[14]– أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: الرسالة. شرح وتعليق: عبد الفتاح ظافر كبارة، دار النفائس، بيروت، ط **1**، **1999**م. ص ص:**55– 57**.

[15]– ينظر بالتفصيل: د/ نجم الدين قادر كريم الزّنكي: نظرية السياق–دراسة أصولية– دار الكتب العلمية بيروت لبنان. **2006**م. ص ص:**28–29**.

[16]– أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي: المستصفى من علم الأصول, تحقيق نجوى ضوّ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1997م.72/2.

[17]- المصدر نفسه. 2/ 72.

[18]– المصدر نفسه. 74/2.

19- لمن أراد التوسع في مثل هذه الحقيقة المعرفية الأصولية فليعد إلى محمود توفيق محمد سعد: إشكالية الجمع بين الحقيقة والمجاز في ضوء البيان القرآني مطبعة الأمانة، ط1، 1992م، ص:20

[20]– ينظر أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي: أصول السرخسي. تحقيق : أبي الوفاء الأفغاني – حيدر آباد الدكن، لجنة المعارف النعمانية، د ط، د، ت. 192/1.

[21]– ينظر في هذا الصدد بالتفصيل إلى أمير بادشاه،محمد أمين: تيسير التحرير على كتاب التحرير في أصول الفقه الجامع بين اصطلاحي الحنفية والشافعية، دار الكتب العلمية، بيروت، د، ت، ط، 1/ 87 وما بعدها

[22] -الشاطبي،أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي: الموافقات في أصول الشريعة مع تعليقات دراز. تحقيق: إبراهيم رمضان. دار المعرفة. ط3، بيروت. 1997م.مج2/ ج3 /239–240.

[23]– المصدر نفسه. مج2/ج3/ 241.